



في رحاب التوراة

دراسات وجوارات روحانية مُعمّقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University



The Original text in English and translations to other languages can be found here:
<https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation/lech-lecha/journey-of-the-generations/>

"ليخ ليخا" هو النصّ الأسبوعي الثالث من كتاب "بريشيت" (سفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الثاني عشر وينتهي بالآية السابعة والعشرين من المقطع السابع عشر.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

رحلة الأجيال

لربّما يكون توصيفُ مارك توين من أكثر التوصيفات الدقيقة التي لخصّت الموضوع الذي نحنُ بصددِ الحديث عنه هنا: "عندما كنتُ أبلغُ أربعة عشر عاماً كان أبي جاهلاً لدرجة أنني لم أكنُ أطيقُ الوجود بجوار شخص بهذا القدر من الجهل. لكن عندما صار عمري واحداً وعشرين عاماً ذُهِلْتُ من قدر المعرفة التي اكتسبها رجلٌ في سنّه خلال سبع سنوات". وبغضّ النظر عن مدى صحّة أو خطأ نظرية فرويد بالنسبة لعقدة أوديب، إلا أنه يوجدُ جانبٌ صحيحٌ من جوانبها يتعلّقُ بقوة الألم الذي نشعرُ به عند البلوغ، ألمٌ نابعٌ من كوننا أصبحنا نُعرّفُ أنفسنا بطريقة مُختلفة تُركّز فيها على ذاتنا، وبأننا بدأنا نختلفُ عن شخصيات آباؤنا وأمهاتنا.

وعندما كُنّا أطفالاً صغاراً كان ابتعاد أو غياب أمهاتنا عنّا واحداً من أعمق وأشدّ مخاوفنا في تلك المرحلة العُمرية، فالأطفال الصغار بشكل عام يشعرون بالطمأنينة والاستقرار طالما كانت الأم - أو من يرعاهم - بالجوار، وفي اللحظة التي تختفي عن الأنظار نجدُ حالة من الذعر والهلع تملكُ الطفل، فنحنُ لا نزالُ أصغر من أن نخوض مُعترك الحياة لوحدينا، بالتالي فإن ذلك الشعور بالاستقرار والوجود إلى جنبنا من قبل آباؤنا وأمهاتنا هو الذي يمنحنا إحساساً بالثقة والقوة في الحياة.

لكن خلال مرحلة معينة من حياتنا نمرُّ بمرحلة البلوغ، وهي المرحلة التي ينبغي علينا أن نتعلم فيها كيف نشقّ طريقنا في هذا العالم، وتلك هي السنين التي يبدأ مشوارنا في البحث بل وفي بعض الأحيان نبدأ بالتمرد والعصيان، وهذا ما يجعلُ مرحلة البلوغ محفوفة بالمخاطر أكثر من غيرها. في الوقت نفسه نجدُ أن كلمة شباب باللغة العبرية مُشتقة من الجذر (ن.ع.ر)، وهو جذرٌ يحملُ في طياته معنى "اليقظة والانتباه" من جهة، و"عدم الاستقرار" من جهة أخرى، فنحنُ في تلك المرحلة نبدأ بتعريف أنفسنا من خلال مقارنة شخصيتنا بشخصيات أصدقائنا وأقراننا من المرحلة العمرية ذاتها، لا بشخصيات أفراد عائلتنا، خاصة في ظلّ حالة التوتر والاختلاف الموجودة بين الأجيال المُختلفة.

وقد أَلَفَ الأديب المعروف هارولد بلوم كتابين رائعين يتطرّقان لهذا الموضوع تحديداً، الكتابُ الأولُ أطلق عليه "دعزُ التأثير" (*The Anxiety of Influence*) والكتاب الثاني "خرايطُ سوء القراءة" (*Maps of Misreading*)¹. وهو يتنبأ في هذين الكتابين منهج فرويد ووجهة نظره التي تقول بأن الشعراء الكبار يخلقون مساحة لأنفسهم في مجال الشعر من خلال قيامهم عمداً بإساءة فهم وإساءة تفسير الأعمال الشعرية لأسلافهم، ولو كان هذا الافتراض خاطئاً وكان الشعراء في حالة إعجاب دائم بأعمال أسلافهم لكانوا في حالة جمود أدبي تام، لأنهم سيشعرون بالإحباط الشديد مُعتقدين أن أسلافهم من الشعراء العُظماء قد قالوا كل ما يُمكن أن يُقال وعبروا عن كل ما يُمكن أن يحتويه الشّعْر من معانٍ وبأفضل الأساليب التي يُمكن أن يُكتب بها الشعر. بالتالي فإن خلق تلك المساحة للذات دوماً ما تتطلبُ وجودَ علاقةٍ خلافيةٍ نعترضُ من خلالها على مَنْ سبقونا، وعلى رأسهم آباؤنا وأمهاتنا.

كما أن أحدَ أهم الأمور التي نُدرِكها كلما تقدّمنا بالعمر هو أننا نحاولُ طيلة حياتنا الابتعاد عن آباؤنا وأمهاتنا، كلما رأينا أننا على وشك أن نكون نسخة طبق الأصل عنهم، لكننا في الوقت نفسه لا نُدرِكُ بأننا كلما هربنا منهم كلما أصبحنا نُشبههم أكثر وأكثر، وهذا هو الجانبُ الحقيقي لوجهة نظر مارك توين، فنحنُ بحاجة للوقتِ والمسافة حتى نُدرِك كم نحن مَدِينون لآبائنا وأمهاتنا من جهة، ومقدار الشبه الكبير بيننا وبينهم من جهة أخرى.

في السياق نفسه، تتطرق التوراة إلى هذا الموضوع بمُنتهى الحنكة وبطريقة مُستترة، خاصة من خلال قصّة أفرهام / إبراهيم (أو أفرم كما كان يُسمى في أول الأمر). فهذا النصّ الأسبوعي "ليخ ليخا" يتسم بدقته وحنكته البارزة بين باقي النصوص. وهذا النصّ على وجه الخصوص، والتاريخ اليهودي عموماً، تستهلّهما عبارة "إذ قال الله لأفرم، امض من أرضك ومولدك وبيت أبيك إلى البلد الذي أريك" تبعاً لما تذكره الآية الأولى من المقطع الثاني عشر من سفر التكوين. في الحقيقة تُعدّ هذه الآية واحدة من أكثر الآيات التوراتية جُرأة في الحديث عن موضوع الحياة في الكتاب اليهودي المقدس التناخ*، إذ يبدو وكأن قصة حياته قد ظهرت فجأة بين آيات الكتاب المقدس، خاصة وأن التوراة لم تتحدث عن طفولة أفرهام ولا عن فترة شبابه أو حتى عن طبيعة العلاقة بينه وبين باقي أفراد عائلته، ولا حتى عن زواجه من ساره أو حتى عن طبيعة الصفات والمؤهلات التي جعلت الله عز وجل يختاره من بين غيره من البشر حتى يكون المؤسس لما سيصبح لاحقاً أعظم ثورة في تاريخ الأديان البشرية، تلك الثورة الدينية التي نصّفها اليوم بالإيمان التوحيدي الإبراهيمي.

لكن هذا الصمّت التوراتي وغياب المعلومات الكافية عن حياة أفرهام في التوراة كان السبب الذي جعل تفاسير المدراس** تجلبُ لنا الأمر البارز الذي تعلمه كل يهودي بوضوح وإسهاب عن حياته: وهو أنه قام بتحطيم أوثان والده التي كان يصنعها في بيته، هذا هو أفرهام صاحب الشخصية الثورية المُتمردّة، وهو الإنسان الذي لم يخضع لأي صنمٍ أو سلطان، إنه رجلُ البداية الجديدة الذي ضرب بعرض الحائط جميع المُعتقدات التي كان والده يؤمن بها. وإن شاء البعض توصيفه فهو تحديداً تلك الشخصية التي وصفها وتحدّث عنها فرويد.

*ملاحظة توضيحية من المترجم: التناخ هي كلمة تختصر الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نقيبم، كتوفيم" (أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهودي المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سفر يوشع، وسفر القضاة وسفر صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول والثاني وسفر إشعياء وسفر إرميا وسفر حزقيال، وسفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمّ الهاغوغرافيا، أي كُتب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سفر المزامير، وسفر الأمثال، وسفر أيوب، وسفر روث (راعوث)، وسفر نشيد الإنشاد، وسفر الجامعة، وسفر مرثي إرميا، وسفر أستير، وسفر دانيال، وسفر عزرا ونحميا، والجزء الأخير من التناخ يضم أسفار تدين التاريخ. بالتالي يضمّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سفرًا (كتاباً).

**ملاحظة توضيحية من المترجم: المدراس هو مصطلح يُشير إلى التفاسير اليهودية الموسّعة للكتاب اليهودي المقدس (التناخ)، بحيث تستند هذه التفاسير إلى نمطٍ حاخاميّ شائع الاستخدام في كتاب التلمود (التلمود هو النصّ المركزي في الحاخامية اليهودية ويعدّ المصدر الأساسي للديانة اليهودية وللشريعة اليهودية المعروفة باسم الهالاخاه). ومن ناحية لغوية فإن كلمة مدراس تعني تفسير النصّ بالنص، كما تعني أيضاً الدراسة، وهي مُشتقة من الجذر "د.ر.ش" في اللغة العبرية، والذي يحمل في طياته أكثر من معنى، منها البحث المُتأنّي والاستفسار والطلب، وتظهر اشتقاقات كثيرة لهذا الفعل على نحو مُتكرر في الكتاب اليهودي المقدس. كما أن التفاسير المدراسية والقراءات الحاخامية للنصوص الدينية تهدفُ إلى البحث عن القيمة الموجودة في النصوص والكلمات والحروف أيضاً، وهي تعتمد التفاسير المدراسية على أسلوب طرح الأسئلة حول النصّ الديني، وفي بعض الأحيان تُجيب على تلك الأسئلة، وفي أحيان أخرى تترك المجال مفتوحاً أمام القارئ ليُجيب عنها بنفسه. والتفسير المدراسي يُعد نهجاً يهودياً مُميزاً، فهو لا يُحاول فهم الكلمات الموجودة في النصّ الديني وما وراءه من أفكار فحسب، بل يذهب بعيداً ليتطرّق إلى ما هو غير موجود في الآية، أي كل حرف وكل كلمة لم تُذكر في هذا النصّ. إن الأسلوب المدراسي يتضمّن تفسيرات قديمة للتوراة المكتوبة والشفهية (القوانين والمناسك الدينية التي انتقلت بالمشافهة)، بالإضافة إلى الكتابات الحاخامية التي لا تتمحور حول القوانين (أغاده) أو التشريعات الدينية اليهودية (الهالاخاه) التي تجسّد بالعادة تفسيراً مُكتملاً لتفسير نصوص معيّنة من الكتاب اليهودي المقدس (التناخ).

وربما مع تقدّمنا بالعمر فقط، صرنا نعود إلى قصّة أفرهام ونقرأها مُراراً وتكراراً حتى نُدرك أهمية جُزء مُحدّد من النصّ الأسبوعي السابق، تحديداً في المقطع الحادي عشر الآية الحادية والثلاثين والتي تقول:

"وأخذ تيرح، أفرم ابنه، ولوط بن هَران ابن ابنه، وسراي كِنْتَهُ زَوْجَةَ أفرام ابنه، وخرجوا معهم من أتون الكسدانيين، ليتمضوا إلى بلد كنعان، فجاؤوا إلى حاران وأقاموا ثمّ".

بعبارة أخرى: لقد افترقَ أفرهام عن والده تيرح بعد فترة طويلة من رحيله من موطنه ومسقط رأسه في بلدة أور الموجودة حالياً في جنوب العراق، تحديداً في منطقة حرّان والموجودة حالياً في شمال سوريا، وذلك بعد مُدّة طويلة من رحيله عن موطنه ومسقط رأسه في منطقة أور، بالتالي نجد أن تيرح/تارح قد رافقَ ابنه أفرهام خلال النصف الأوّل من رحلة خروجه من موطن آبائه وأجداده، أي أنه رافقه - على الأقل - خلال جُزء من تلك الرحلة.

والسؤال الذي يطرحُ نفسه هنا: ما الذي حدث فعلاً آنذاك؟ في الحقيقة هنالك احتمالان لا ثالث لهما: الاحتمال الأوّل هو أن أفرهام قد لبّى نداء الله عزّ وجلّ أول الأمر في منطقة أور، ثم وافق والده على الرحيل معه إلى أرض كنعان، وربما لم يُكمل الرحلة حتى نهايتها مع أفرهام نظراً لكونه طاعناً في السنّ وليس بإمكانه تحمّل مشاقّ السفر. أما الاحتمال الثاني فهو أن أفرهام قد لبّى نداء الله في منطقة حرّان، وفي هذه الحالة فإن والده يكون قد بدأ بالفعل رحلة الخروج من تلقاء نفسه من خلال مغادرته لمنطقة أور. لكن وبجميع الأحوال فإن ما يُمكننا الإجماع عليه هو أن أفرهام ووالده كانا مع بعضهما لمرحلة معينة من الرحلة، وأن انفصاله عن والده ليس بتلك الصورة الدرامية المثيرة التي لطالما كنا نراها بها.

وقد وضّحتُ في كتاب آخر أطلّقتُ عليه "ليس باسم الله" (Not in God's Name)² بأنّ الرواية التوراتية اليهودية أعمق وأكثرُ عموضاً مما كنا نعتقد، خاصة وأنها مكتوبة عن قصدٍ بأسلوبٍ يجعلنا نفهم هذا الغموض خلال مراحل مختلفة من حياتنا تتناسب مع نموّنا الأخلاقي. فهنالك دوماً رواية ظاهرية تُفهم بشكل سطحي، لكن هنالك أيضاً جوانب لتلك الرواية لا يمكن لنا أن نلاحظها ونفهمها إلا إذا وصلنا لمرحلة معينة من النضج والبلوغ، وهذا ما أطلق عليه "الرواية المضادة المُستترة"، وخير مثال على ذلك هو المقطع الحادي عشر والثاني عشر من سفر التكوين.

فعندما كنّا في مرحلة الشباب كنا نسمعُ دوماً تلك القصة الحماسية المؤثرة عن أفرهام وتحطيمه لأوثان والده، وكنا نفهم منها درساً مفاداً أن الأبناء قد يكونون مُحققين أحياناً، وأن الآباء قد يكونون على خطأ، خاصة عندما يتعلق الأمر بمسألة الروحانية والإيمان. و فقط مع تقدّمنا في العُمُر صرنا نُدرك حقيقة أعمق لهذه القصة (موجودة بشكل مُستتر في الجزئية التي تحدثت عن موضوع الأنساب في النصّ الأسبوعي السابق)، حينها فقط نرى أن أفرهام يُكملُ الرحلة التي بدأها والده أصلاً.

وهنالك سطرٌ من سفر يهوشوع/يوشع (تحديداً في الآية الثانية من المقطع الرابع والعشرين) والذي نقرأه كجزء من الهجده (الكتاب الذي يُقرأ خلال تناول الطعام عشية عيد الپيسح/الفصح اليهودي) والتي تقول: "هكذا قال الربُّ إلهُ إسرائيل: أبأؤكُم سَكُنُوا في عِبْرِ النَّهْرِ مُنْذُ الدَّهْرِ، تيرحُ أبو أفرهام وأبو ناحور، وعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى". بالتالي كانت عائلة أفرهام ذات خلفية وثنية، لكن سفر التكوين في المقطع الحادي عشر يذكرُ لنا بأن تيرح هو الذي أخذ بيد ابنه أفرهام وانطلق به في تلك الرحلة، وليس العكس، حيث انطلق معه من منطقة أور مُتجهاً إلى أرض كنعان، كما لم يكن انفصال أفرهام عن والده فجائياً، بل جاء على عدّة مراحل.

كما أنه من الصعب جداً أن نتخيّل عكس ذلك، فاسمهُ الأصليّ في بداية الأمر كان أفرم (أف رَمّ باللغة العبرية تعني الأب المُقتدر) قبل أن يُصبح اسمه أفرهام لاحقاً. وقد اختاره اللهُ عزّ وجلّ لكونه "سَيَأْمُرُ بِنِيهِ وَأَلَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ اللَّهِ، لِيَعْمَلُوا بِالْعَدْلِ وَالْحُكْمِ، لِقَبْلِ أَنْ يَفِيَّ اللَّهُ لِأَفْرَاهَامَ بِمَا وَعَدَهُ" تبعاً لما تذكره التوراة في الآية التاسعة عشرة من المقطع الثامن عشر من سفر التكوين. بالتالي فقد اختاره اللهُ ليكون أباً وقُدوةً لأبنائه ونسله الذي سيأتي من بعده.

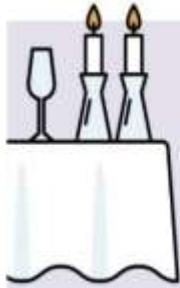
لكن السؤال الذي يطرحُ نفسه هنا: كيف لأبٍ تمرد على والده أن يكون والداً لأبناء لا يتمردون عليه؟³ ربما ستكون الصورة أكثر منطقية وعقلانية حين نفهم أن تيرح كان لديه شكوكٌ أصلاً فيما يتعلق بجدوى عبادة الأصنام والأوثان، خاصة وأنه هو الذي ألهم ابنه أفرهام وساعده للمضي قدماً في تلك الرحلة الروحانية الشاقّة. بالتالي فقد أكمل أفرهام الرحلة التي بدأها والده أصلاً، أي أنّه ساعد أبناءه يتسحق/إسحق ومن ثم حفيده يعقوف/يعقوب وجميع من انحدر من نسلهم ليتمضوا

في رحلة عبادة الله الواحد، والذين واجهوه وتعرفوا عليه بطرقٍ مختلفة. وهذا ما يُعيدنا إلى مارك توين، حيث نبدأ حياتنا مُعتقدين بأننا مُختلفون إلى حدٍ كبيرٍ عن آبائنا وأمهاتنا، لكننا بنهاية المطاف ومع مرور الوقت فإننا نَصِلُ لتلك اللحظة التي نُقدِّر فيها فعلاً ما فعله من أجلنا حتى نُصبح على ما نحن عليه الآن. وحتى عندما نعتقد أننا نهربُ مُبتعدين عنهما، فإننا في الحقيقة نهربُ مُستكملين لتلك الرحلة والمسيرة التي بدأها كلاهما، والكثير مما نحنُ عليه الآن يعود إلى ما هُم عليه فعلياً.

1. المصدر: Harold Bloom, *The Anxiety of Influence: A Theory of Poetry*, (New York: Oxford University Press, 1973); *A Map of Misreading*, (New York: Oxford University Press, 1975).

2. كتابُ الحاخام جوناثان ساكس "ليسَ باسمِ الله – مواجهة الغُف الديني". (New York: Schocken Books, 2017).

3. يقول الحاخام شلومو يتسحاقي (المعروف بلقب الحاخام راشي) في تفسيره لسفر التكوين المقطع الحادي عشر الآية الواحدة والثلاثين بأن التوراة جعلت قصة انفصال فرهام ووالده مُستترة، حيث أن الآية التي تحدثت عن وفاة تيرج جاءت قبل الآية التي تحدثت عن نداء الله عز وجل لأفرهام. على أي حال، يُرجى المقارنة مع تفسير الحاخام موشيه/موسى بن نحمان على هذه الآية.



حَوْلَ مَائِدَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الْمُقَدَّسِ: أَسْئَلَةٌ لِلتَّأْمُلِ

- 1- ما هي أوجه الشبه بينك وبين والديك؟ وما هي أوجه الاختلاف بينكما؟
- 2- هل واصلت المشوار الذي بدأه والديك؟
- 3- إذا كان تيرج/تارح يعبد الأوثان، فلماذا نجد أهمية للفكرة التي طرحها الحاخام جوناثان ساكس حول تأثر أفرهام/ابراهيم بوالده تيرج وبأنه كان يواصل المشوار الذي بدأه والده؟

• These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/lech-lecha/journey-of-the-generations/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

